تفريغ شرح الأصول الثلاثة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي

ملاحظة : قام الشيخ بمراجعة التفريغ وقام بحذف المكرّر، وتعديل بعض العبارات ،

وتقديم وتأخير بعضها لأنّ بعض العبارات قد لا تتّضِح إلا بسماع التّسجيل

(تفريغ الدرس الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،

فهذا هو تفريغ الدرس الأول لشرح الأصول الثلاثة ، والذي قام بتفريغه بعض طلبة العلم الأفاضل –وفقهم الله لما يحبه ويرضاه – .

وهذا الدرس هو ضمن دروس (**سلسلة التأصيل العلمي**) ، والتي يتم نقلها عبر **شبكة وإذاعة إمام دار الهجرة العلمية** ، والتي سوف نأمل من الله تعالى أن يُيسِّر لـــمَن يُتابِعُها التَّدرُّج للوصول إلى مراحل متقدِّمة من مراحل العلوم الشرعية .

ومما ينبغي التنبيه عليه ؛ أنَّه كما لا يخفى أنَّ الدروس المسموعة لا تكون في قوة التحقيق وذكر المسائل ، كما يكون ذلك في التأليف والتصنيف ، فإن الكلام كما يُقال : (وليد ساعته)، وقد حاولتُ أن أُراعي في هذا الشرح سهولة العبارة قدر المستطاع ، وترك الخوض في المسائل التي لا تنفع طالب العلم في هذه المرحلة ؛ وذلك لكي يتدرَّج الطالب شيئاً فشيئاً .

وقد قمتُ بمُراجعة هذا التفريغ مراجعةً سريعةً ؛ لإصلاح الخطأ –وهو يسيرٌ جداً – وحذف ما تكرَّر من العبارات ، وتعديل ما قد يُشكِل في القراءة دون السماع ، وضبط بعض ألفاظه .

وختاماً ؛ أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا التفريغ ، كما أرجو أن ينفع بأصله المسموع، وأن يُجزِل الأجر والمثوبة لَمن قام بتفريغه ، ونشره ، وأن يجعل ذلك في موازين حسناته ، وأن يرفع به درجته عند الله.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به ؛ مَن قرأه ، أو نشره ، أو أهداه إلى غيره ، وأن يجعله حُجَّةً لي يوم ألقاه ، وأن يغفر لي ما زلَّ به اللسان .

وإنَّني أرغب إلى إخواني ، ومشايخي ، ومَن يقف على هذا التفريغ ، إنْ وَجَدَ به خللاً أن يُصلِحه ، وأن يلتمِس لي فيه العُذر ، وأن يكتب لي به لأُصلِحه ، والله المستعان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتـــــــــــــــــبه الفقير إلى عفو ربه

حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي
غفر الله له ، ولوالديه، ولمشايخه ، وأهل بيته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد؛

فأسأل الله – سبحانه وتعالى – التيسير ، والسداد ، والتوفيق ، وأن يُـــخلِص أعمالنا لوجهه الكريم ...

وهذا هو المجلس الثاني من مجالس التعليق على رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب –عليه رحمة الله تعالى– : (**رسالة الأصول الثلاثة**) .

وبالأمس كُنَّا قَد تَكلَّمنا على بداية رسالة المؤلّف –رحمه الله تعالى–، ولكن لَعلِّي أن أُعيد التّعليق مرّةً أخرى على هذه الرِّسالة لمشاكل الاتّصال التي حصلت بالأمس، لكن إن لن أُفصِّل في التّعليق كثيرًا إن شاء الله –عزّ وجلّ– .

فنقول المؤلّف –عليه رحمة الله تعالى– ابتدأ هذه الرّسالة بذِكر هذه المسائل الأربع التي كُنَّا قد علّقنا على المسألة الأولى منها .

يقول المصنّف – عليه رحمة الله تعالى–:-

[المتن]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ.

[الشرح]

والبسملة سنُعيد ذِكر شيء من مسائل البسملة التي ذكرناها بالأمس .

قولنا (**بسم الله**) : الأصل في قولنا : (**بسم**) : أن تُكتب كلمة (اسم) بألفٍ في أوّلها، كما في قوله – عزّ وجلّ -: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] كما في رسم المصحف، وقد حُذفت الألف في الكتابة لأنّها لا تظهر في اللّفظ . وقال بعض أهل العلم : إنّما حُذفت لأجل التّخفيف.

و (**الله**) : هذا الاسم لفظ الجلالة أصله الإله، وقد تركوا الهمزة وأدغموا اللّام الأولى في اللّام الثّانية فصارت لامًا مشدّدةً . وهذا اللّفظ ؛ لفظ الجلالة (**الله**): المعبود محبّةً وتعظيمًا ، وهو عَلَمٌ على الله – سبحانه وتعالى - لا يجوز إطلاقه على غيره .

وهو الاسم الذّي تتبعه جميع الأسماء ، ومعنى ذلك أنَّنا نقول : العظيم من أسماء الله، ولا نقول الله من أسماء العظيم . وكذلك نقول: الرحيم من أسماء الله، ولا نقول: الله من أسماء الرحيم، وكذا في سائر الأسماء الحسنى، فكل الأسماء الحسنى تابعة لهذه الكلمة ؛ وهي قولنا : (**الله**) .

[1] [العلق:١]

وكُنَّا قد سُئِلنا بالأمس عن أصل كلمة: (**اللهم**)، فنقول: (**اللهمَّ**): كما ذكرنا أنَّ معناها: يا الله. والميم المشدَّدَة التي في آخر الكلمة هي بدل من (يا) النداء في قول: (يا الله)، هكذا قال بعض أهل اللغة، وهذا منسوب إلي سيبويه والخليل، وذكر بعض أهل العلم أن أصل الكلمة: يا الله أُمَّ بخير. يعني اقصدنا بخير، هذه هنا ذكرتها فقط لأجل أننا سئلنا عنها البارحة فأشير إليها إشارة.

(**الرحمن**): هو ذو الرحمة الواسعة – سبحانه وتعالى – وبعبارة أخرى نقول: هو الموصوف بالرحمة الواسعة.

وذلك أن لفظ: (**رحمن**): على وزن فعلان، وهذا الوزن يُفيد المبالغة. واسم (**الرحمن**) اسم خاص بالله – عز وجل – لا يجوز إطلاقه على غيره.

وأما (**الرحيم**): فهو ذو الرحمة الواصلة، ويجوز إطلاقه على غيره –سبحانه وتعالى–، ولكن كما ذكرنا بالأمس أنَّ هذا الإطلاق يكون بما يليق بالعبد ومكانته في مقابل مكانة الرب الجليل – عز وجل –.

وهنا إشارة أُشير إليها؛ وهي أنه قد ذهب بعض أهل العلم إلى أن اختصاص اسم (**الرحيم**) هو بالمؤمنين، واستدلُّوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[2]، وقالوا: لم يجئ في القرآن لفظ (**الرحيم**) لغير المؤمنين، وهذا الإطلاق فيما يظهر – والله أعلم – فيه

[2] [الأحزاب:٤٣]

نظر؛ لأنه قد جاء في القرآن هذا اللفظ لجميع الناس كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] كما في سورة البقرة، وسورة الحج.

ثم قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

[المتن]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ.

[الشرح]

وقوله (**اعلم**): العلم يشمل ما كان إدراكه مبنيًّا على اليقين (يعني: أمراً لا شكَّ فيه)، وكذلك ما كان إدراكه مبنياً على غلبة الظن. وهذا على الراجح من أقوال أهل العلم، وليس هذا مجال تفصيل ذلك، ولذلك يُطلق عليه بعض أهل العلم بأنه: معرفة الهدى بدليله.

قوله (**رحمك الله**): الرحمة في اللغة هي الرِّقَّـة والعطف، والمراد هنا: أفاض الله عليك من مغفرته.

وقوله (**أنه يجب علينا**): الوجوب هو طلب امتثال الأمر على سبيل الإلزام .

فمَنْ طلب منك أمراً على سبيل الوجوب، فإنه يُلزِمُك بفعل هذا الأمر ، وامتثال ما أراده منك على الوجه الذي أراد . فلستَ مـُخَيَّراً في فعله أو في تركه ، هذا معنى الوجوب في الشرع .

[3] [البقرة/١٤٣] و[الحج:٦٥]

وقوله (**علينا**) : يعني على معشر الـــمُكلَّفين من الإنس والجن، صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً. وسيأتي ذكر شيء من ذلك إن شاء الله على سبيل الاختصار فيما يتعلق بالصغار وغيرهم .

قوله (**تعلُّم أربع مسائل**) : هذه الأربع مسائل ؛ وُجوبُها على المكلفين يتفاوت بحسب تَفاوُتِهم في توفُّرِ الشروط وانتفاء الموانع . فقد يتوفَّر في شخصٍ من الأسباب والشروط ما يجعله مكلَّفاً بأمر ، ولا يتوفَّر في غيره من هذه الأسباب ما يجعله مُكلَّفاً بهذا الأمر .

كأن يكون إنسان عنده مال قد بلغ نصاباً، وحال عليه الحول، فتَجِبُ عليه الزكاة، بينما رجل آخر فقيرٌ مُعدَمٌ فلا تجب عليه الزكاة .

فالأول: مُطالَبٌ بتَعلُّم أحكام الزكاة في هذا المال، والآخر غير مطالب بتَعَلُّمِ أحكام الزكاة، والمسألة فيها تفصيل.

وأما بالنسبة للصغار؛ فإنَّنا نقول : حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَو يَمُجِّسَانِهِ أَو يُنَصِّرَانِهِ** "، الفطرة: هي شريعة التوحيد لله – عز وجل– وقد جاء ذلك في قول الله –عز وجل– ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾[4] وهذه الفطرة هي التوحيد، توحيد الله –عز وجل– وإفراده –سبحانه– بالعبادة.

[4] [الروم: ٣٠]

فإذا نشأ الصغير تحت أبوَين مسلمَيْن؛ لا يُطالَبُ بعد البلوغ بإعادة توحيده وإيمانه، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة بخلاف أهل البدع والأهواء من أهل الكلام.

وهذه المسائل الأربع دَلَّ الشَّرعُ الحنيف على وجوبها على المكلفين، والمصنِّف –رحمه الله تعالى– قد استفادها من كلام العلامة الإمام شيخ الإسلام الثاني ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه القيم "زاد المعاد في هدي خير العباد" .

يقول ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه زاد المعاد:

" **فجهاد النفس أربع مراتب:**

- **إحداها: أن يُجاهدها على تَعلُّمِ الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشِها ومَعادها إلا به، ومتى فاتَها عِلمُه شَقِيَ في الدارين**" .

وهذه المرتبة الأولى هي التي ذكرها المؤلف –رحمه الله تعالى– في قوله: "الأولى: العلم".

ثم قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–:

- "**الثانية أن يُجاهِدَها على العمل به بعد عِلمِه، وإلاَّ فَمُجَرَّدُ العلم بلا عمل إنْ لم يَضُرَّها لم ينفعها**" .

وهذه هي التي ذكرها المؤلف –رحمه الله– في قوله : "**الثانية العمل به**" .

يقول ابن القيم:

- **"الثالثة أن يُجاهِدَها على الدعوة إليه، وتَعليمه من لا يعلمُه، وإلا كان من الذين يكتُمون ما أنزل الله من الهدى والبيِّنات، ولا ينفعُه عِلمُه ولا يُنجيه من عذاب الله"**

وهذه أيضاً المسألة التي ذكرها المصنف –رحمه الله تعالى– في قوله: "الثالثة الدعوة إليه".

قال :

- **"الرابعة : أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله".**

وهذه هي التي ذكرها المصنف –رحمه الله– بقوله:" الرابعة الصبر على الأذى فيه"، ونأتي الآن إلى التفصيل في ذكر هذه المسائل الأربع.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– في ذكر هذه المسائل الأربعة:

[المتن]

الأُوْلَى: العِلْمُ، وَهُوَ: مَعرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

[الشرح]

تكلَّمنا على **(العلم)**، وقلنا: إنَّ العلم يشمل الأمور اليقينيَّة، والأمور التي تغلب على ظنِّ العبد، على تفصيلٍ طبعاً في ذلك ليس هذا هو مَقامُه.

ومعرفة الله –عز وجل– هي بأربعة أمور وهي:

الأول : الإيمان بوجود الله –عز وجل–.

الثاني: هو الإيمان بأُلوهِيَّة الله -عز وجل-. وهو إفراد الله —عز وجل- بالعبادة .

الثالث: الإيمان برُبوبِيَّة الله -عز وجل- . هو إفراد الله —عز وجل- بأفعاله . وبعض أهل العلم يُعَبِّرُ عنه بقوله : هو إفراد الله —عز وجل- بالخلق والملك والتدبير.

الرابع : هو الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، و(**الإيمان بالأسماء والصفات**) : هو إفراد الله —عزَّ وجل- بما يستحقه من الأسماء والصفات، والإيمان بها، واعتقادها من غير تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

والتَّكييف : هو أن نَنْسبَ إلى الرب —عز وجل- كيفيَّةً نَتَصوَّرُها بأذهاننا . فنقول: صفة الله —عز وجل- على هذه الكيفية، هذا هو التكييف.

وأما التعطيل : هو أن نَنْفِيَ صفةً من صفات الله —عز وجل-.

وأمَّا التحريف : فهو أن نجعل هذه الصفة لها معنى آخر غير المعنى الذي يُريدُه الله -عز وجل-، فنأتي إلى صفة من صفات الله -عز وجل- ونقول: لا ، ليس هذا معناها . بل معناها : كذا . فقط مِنْ غير بُرهانٍ ولا دَليلٍ من الشرع ، نَصرِفُ هذه الصفة عن معناها.

وأمَّا التمثيل : وهو جعل الربِّ -عز وجل- مُشابِهًا للمخلوق . فنقول: يَدُ الله كَيَدِ العبد -عياذاً بالله- أو نحو هذه الـــمُشابــَهات و الـــمُماثَلات .

وهذه كلُّها موجودة بين من يَنتَسِبُ إلى الإسلام إلى هذا اليوم، وأما أهلُ السُّنَّة فليس عندهم شيء من هذه الأربع، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في مكانه بحول الله –عز وجل– .

ثم قال –رحمه الله–:

[المتن]

وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ.

[الشرح]

قال –رحمه الله تعالى–: (**ومعرفة نَبيِّه**)، ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله –عز وجل– خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وسيد ولد آدم يوم القيامة بلا فخر صلى الله عليه وسلم.

وكُلُّ الطُّرق مَسدودة على العبد إلى الله –عز وجل– إلا طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وكلُّ مَنْ أراد الوصول إلى ربه –سبحانه وتعالى– فوُصولُه مُنقَطِعٌ دون سُلوكِ هذا الطريق – أعني: طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم– .

فهو الذي جاء بالشرع، وهو الذي جاء بدين الإسلام. واتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو من دليل محبة العبد لله –عزَّ وجل– أولاً، ثم مِنْ دليل مَحبَّتِه للنبي صلى الله عليه وسلم ثانياً.

وذلك ؛ أنَّ محبَّة اللهِ -عزَّ وجلَّ- تَستَلزِمُ من العبد طاعته -عز وجل- فيما أمر، والعمل بشرعه .

وأما محبة النبي صلى الله عليه وسلم تستلزم من العبد : أن لا يعمل عملاً لم يأتِ من طريق النبي صلى الله عليه وسلم، و لم يأتِ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسيأتي شيء من التفصيل في ذلك -إن شاء الله- لاحقاً عند كلامنا على الأصول الثلاثة فيما بعد .

[المتن]

قال : وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

[الشرح]

و(**معرفة دين الإسلام**) : لا بُدَّ أن يَعلَم العبدُ دينَه ، وعلى أَيِّ دينٍ هو ؟

و(**الإسلام**) : هو الاستسلام والانقياد لله —عز وجل- . وهذا الانقياد لله —عز وجل- في دين الإسلام يكون كما قال المؤلف بالأدلَّة ، فليس كُلُّ ما يُذكر عن الإسلام فهو من الإسلام، ولكن الإسلام ما جاء عن الله —عز وجل- من طريق نَبيِّه صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة ، وسيأتي -إن شاء الله- مزيد تفصيلٍ في ذكر هذه الثلاث ، وبيان الفروق بين (**الإسلام الشرعي**) و(**الإسلام الكوني**) ، و(**الإسلام الخاص**) و(**الإسلام العام**)، عند ذكرنا للأصول الثلاثة .

ولا بُدَّ مِنْ بيانِ أمرٍ مهم ؛ وهو : أنَّ قوله **(بالأدلَّة)** راجعٌ -فيما يظهر لي والله أعلم- إلى هذه الثلاث المعارف : معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام .

وهذه الأدلة التي يُطالَب بها العبد في هذه المعارف الثلاث ليس الـــمُراد هنا أن يعرف الإنسان كلَّ مسألةٍ بدليلها، فإنَّ الناس منهم العالم، ومنهم المقلِّد، فقد يُقَلِّدُ الرجلُ أو العبدُ عالـــماً من العلماء ، ويَسلم بذلك ، وتَبرأُ ذِمَّته **إذا كان يَصِحُّ مِنْ مثله أن يُقَلِّد** ؛ لأن هنالك بعض الناس لا يصح من مثلهم أن يُقَلِّدَ العلماء لأنه عنده من العلم ما يُؤَهِّلُه لاستنباط الأحكام الشرعية .

فقول المؤلف -رحمه الله تعالى- : **(بالأدلة)** راجعٌ إلى هذه المعارف الثلاث، ولكن كما ذكرنا أنَّ الناس يتفاوتون في ذلك فلا نفهم هذه المسألة على إطلاقها .

وأهل السنة يقولون: إنَّ إيمان الـــمُقلِّد صحيحٌ لا إشكال فيه ، إذا قَلَّدَ مَنْ هو أهلٌ لأن يُقَلَّد .

وهذه المعارف الثلاث : هي الأصول الثلاثة التي أَلَّف الـــمُؤَلِّفُ الرسالة مِنْ أجلها، وهي التي يُسأَلُ عنها العبد في قَبرِه إذا مات وإذا دفن . فإنه يُسأَل : مَن رَبُّك ؟ وما دينُك ؟ ومَنْ نَبِيُّك؟ فيُسأل عن هذه المعارف الثلاث .

فَمَن كان قد التَزَمَها في الدنيا ، فإنه يُجيب بحول الله -عز وجل- في قبره .

ثم قال -رحمه الله تعالى-:

[المتن]

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

[الشرح]

و(**العمل بالعلم**) : هو الذي يكون به نجاة العبد يوم القيامة بحول الله –عزَّ وجلَّ–، والعلم بلا عمل يُفضي بصاحبه –والعياذ بالله– إلى عذاب الله –عز وجل– .

وقد ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة الصحيح أنَّ ((**أوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بهم النار ثلاثة**)) ؛ –وذكر منهم : ((**عالم**)) ، أو قال : ((**قارئٌ للقرآن ، فيُأْتى به، ويُقال له : ماذا عملت[فيما علمت]؟ فيقول: يا ربي فيك علَّمت القرآن وتعلمت، فيقال له: كذبت، فيلقى في نار جهنم**))[5] –عياذا بالله– .

وكان أبو هريرة –رضي الله عنه– إذا حَدَّثَ بهذا الحديث بكى –رضي الله عنه– حتى يُغشى عليه –رضي الله عنه– خوفاً وَوَجَلاً –رضي الله عنه– ؛ لأنه كان يُحَدِّثُ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ويَخشى أنْ يكون مِمَّنْ لا يعمل بهذا العلم .

فقال المصنف –رحمه الله– : (**الثانية : العمل به**) ، أي : العمل بهذا العلم الذي تَعَلَّمه العبد، فالضمير في قوله (**بِـــه**) راجعٌ إلى قوله : (**العلم**) ، فلا بُدَّ من العمل بالعلم .

---

[5] نص الحديث كما في صحيح مسلم: ((**ورجلٌ تعلَّم العلم ، وعلَّمه ، وقرأ القرآن ، فأُتِيَ به ، فعرَّفه نِعمه ، فعَرَفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه ، وقرأتُ فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنَّك تعلَّمتَ العلم ليُقال عالم ، وقرأتَ القرآن ليُقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار ...**)) .

والعمل بالعلم هو الذي يُورث خَشيَةَ الله –عزَّ وجل–، فليس كُلُّ عِلمٍ يُورِثُ الـــخَشْيَةَ من الله –عز وجل–، ولكن هو العلم الذي يُورِثُ من العبد العمل .

كُلُّ علمٍ يُورِثُ العمل فهو مُقَرِّبٌ إلى الله –عزَّ وجلَّ–، والعلم الذي لا يورث العمل هو مُباعِدٌ عن الله –عز وجل– .

والله –سبحانه وتعالى– قد قال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[6]، ولذلك قد جاء في قول الله –عز وجل– قال: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ ﴾ [7] فمن اهتدى بهدي القرآن والسنة، وعمل بهدي القرآن والسنة، يزيده ربُّه –عزَّ وجل– فضلاً منه وكَرَمًا زيادةً من الهدى ، وزِيادَةً من التَّقوى .

وأيضا قال الله –عز وجل–: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾[8] فمَنْ أعطى، واتَّقى، وصَدَّقَ بالحسنى، هذه كلُّها أعمال – سواء كانت أعمال جوارح أو أعمال قلوب – .

وقال : ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[9] فمَنْ عَمِلَ الأعمال الصالحة يُيَسِّرُ له رَبُّه –عزَّ وجلَّ– الازدياد من الأعمال الصالحة .

---

6 [فاطر: ٢٨]

7 [محمد:١٧]

8 [الليل: ٥، ٦، ٧]

9 [الليل: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠]

وفي مُقابِل ذلك ؛ مَنْ ترك العمل بالعلم يُورِثُه ربه –عز وجل– البُعدَ عنه، وكذلك يُورِثُه –عياذاً بالله– عدم التوفيق إلى فعل الطاعات، بل يَكِلُه إلى نفسه .

فنجد هذا العبد يتقلَّبُ من مَعصِيَةٍ إلى مَعصِيَة ، كما قول الله : ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[10] ، وكذا في قوله –عز وجل– في سورة البقرة : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾[11] .

وأنا أذكر هذه الآيات لعلَّها –إن شاء الله– أن تكون نِبراساً لي ولإخواني –إن شاء الله– مِمَّن يستمعون إلينا في هذه الكلمات، لعلها –إن شاء الله– تكون مِفتاحاً إلى الخير ، ونِبراساً إلى الخير .

أقول يا إخوتي وأخواتي !! كُلُّ عِلمٍ لا يُورِثُ عَمَلاً ؛ فهو مُباعِدٌ عن رَبِّ العِزَّة –تبارك وتعالى– .

وينبغي على العبد أن يكون حريصاً على التَّقرُّبِ إلى الله –عز وجل–، والازدياد من العمل، كما يحرص على الازدياد من العلم .

ثم قال –رحمه الله تعالى–:

[المتن]

[10] [الليل: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠]

[11] [البقرة: ١٠]

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

[الشرح]

أي الدعوة إلى ماذا ؟! إلى العلم .

فالإنسان لا بُدَّ أوّلاً أنْ يَتَعَلَّم ، فيبدأ بالعلم، فإذا تَعَلَّم فلا بُدَّ له أن يَعمَلَ بما تَعَلَّم، وإذا عَمِلَ بما تعلَّمَه ، فإنه يجب عليه حينئذ أنْ يُبَلِّغَ هذا العلم إلى غيره مِمَّن يحتاج إليه، فيكون هذا الإنسان داعياً إلى الله –عز وجل– .

وهذه الدعوة إلى الله –عز وجل– هي سبيل النبي صلى الله عليه وسلم ، وسبيل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما مَنْ انحرف عن دعوة النُّبُوَّة ، وعن سبيل النُّبُوَّة فإنه لا يُراعي حُرمَةً للدعوة إلى الله –عز وجل– ، ولا يُلقي بالاً ولا اهتماماً للدعوة إلى الله –عز وجل–، فالله –سبحانه وتعالى– يقول كما في سورة يوسف: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [١٢] .

﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي﴾ أي : سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿أَدْعُو إِلَى اللّهِ﴾: لا أدعوا إلى غيره.

﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾، ولا بُدَّ للداعية أنْ يَدعو إلى الله –عز وجل–، فلا يدعو إلى جاهٍ، ولا يدعو إلى مالٍ، لا يدعو إلى نفسه، ولا يدعوا إلى مخلوق،

[12] [يوسف: ١٠٨]

لكن يدعوا إلى الله -عز وجل- وحده -جلَّ في عُلاَه- . ودعوتُه هذه لا بُدَّ أنْ تكون مُرتَكِزَةً على بصيرة، والبصيرة : هي العلم .

قال: ﴿قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: فَمَن اتَّبَعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فلا بُدَّ أنْ يكون على السبيل التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم.

والله –عزَّ وجلَّ– إنما بَعَثَ الرُّسُل لأجل الدعوة إلى الله –عز وجل– .

فإن قال قائلٌ: إنما بَعَثَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- الرسل لأجل التوحيد، ومن أجل إقامة التوحيد. فنقول : إنَّ إقامة التوحيد لا تكون إلا بالدعوة إلى الله -عز وجل-، فالدعوة إلى الله -عز وجل- هي الدعوة إلى التوحيد لله -عز وجل-، وبقية الأعمال وبقية الأشياء هي تابعة لتوحيد الرب -جلَّ جلالُه وتَقَدَّسَ في عُلاه سبحانه- .

قال: ﴿أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: فإذا أردت يا أيها المسلم، يا أيها السُّنِّـــيُّ السَّلَفِي، إذا أردت أن تكون على سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى صراط النبي صلى الله عليه وسلم، فلا بُدَّ لك أن تَتَسَلَّحَ بالتوحيد أولاً ، كما قال : ﴿ أَدْعُو إِلَى اللّهِ﴾، ولابد لك أن تَتَسَلَّحَ بالعلم ثانياً ، كما قال: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ .

ثم لا بُدَّ لك أنْ تكون من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال : ﴿أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ .

ولذلك قال في آخر الآية: ﴿وَسُبْحَانَ اللّهِ﴾ فنزه الله –عز وجل- قال: ﴿ وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فالنبي صلى الله عليه وسلم نَزَّهَ ربَّه –عز وجل- ، وسبَّحَهُ –عزَّ

وجل-، أي : أمر الله –سبحانه وتعالى- النبي صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والتتريه لله –عز وجل- ؛ وذلك لأن سبيل النبي صلى الله عليه وسلم ، والسبيل التي وَضَعَها رَبُّ العِزَّةِ –تبارك وتعالى- بعيدةٌ عن السُّبُل البِدعِيَّةِ والسُّبُل الشِّركيَّة، بل هي السبيل التي تدعو إلى الله ، والسبيل التي تكون على بصيرة ، وهي سبيل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأتباع الرسل من قبله عليهم الصلاة والسلام .

قال –رحمه الله تعالى-:

[المتن]

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيْهِ

[الشرح]

وهذا مقام عظيم : (**الصبر على الأذى في العلم**) ، هذا مَقامُ الرُّسُل ، ومقام الأولياء ، والصالحين الذين :

- يَصبِرون على العلم الشرعي .
- ويَصبِرون على العمل بالعلم الشرعي .
- ويَصبِرون على الدعوة إلى العلم الشرعي .

والصبر هو :

- هو حَبسُ النَّفسِ عن التَّسَخُّط ، و (التَّسَخُّط) : يكون من أقدار الله –عز

وجل- .

- وحبسها على فعل الطاعات. أي : على فعل أوامر الله –عز وجل- .
- وحبسها عن فعل الــمُحرَّمات . أي : عن فعل النواهي التي نهى عنها ربنا – تبارك وتعالى-.

وأقول : الناس يتفاوتون في الصبر، والصبر في هذا الموطن، هو موطن أولياء الله –عز وجل- الذين يصبرون على دين الله –عز وجل-، مهما صادَفَهم مِمَّا قد يُبتَلَوْنَ به في طريق الدعوة إلى الله، أو في طريق التَّعلُّم لدين الله –عز وجل-، أوفي طريق العمل بدين الله –عز وجل- .

فالصبر –ولا شَكَّ- هو مقامٌ عظيم، وقد أفرد الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى- لذلك كتاباً سمَّاه "عِدَّةُ الصابرين" .

والصبر –ولا شَكَّ - يكون مــِمَّا يرتَفِعُ به مَقامُ العبد عند الله –عز وجل-، بل هو من الأسباب التي ينال بها العبد الإمامة في دين الله –عز وجل-، والله –سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١٣] ، فلمَّا صَبَروا، وآمنوا، وأيْقَنوا بالله –عز وجل-، وبآيات الله –عز وجل-، أورثَهم ربُّهم –عزَّ وجل- تلك المنزلة العالية، فجعلهم أَئِمَّةً من أَئِمَّة الدين .

---

13 [السجدة: ٢٤]

ولذلك قد اشتهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– أنه قال : "بالصبر واليقين ، تُنال الإمامة في الدين" .

وابن القيم –رحمه الله تعالى– لما تَكَلَّم عن هذه المراتب الأربع في كتابه زاد المعاد ذكر كلمات جميلة ، فقال –رحمه الله تعالى– : **"فإذا استكملَ العَبدُ هذه المراتب الأربع ؛ صار من الربَّانِيِّين ، فإنَّ السَّلَفَ مــُجمِعُون على أنَّ العالِمَ لا يَستَحِقُّ أنْ يُسَمَّى ربَّانِياً"** .

و(**الرَّبَّانِيُّ**) : كما فَسَّرَهُ ابن عباس –رضي الله عنهما– : هو الذي يُرَبِّي الناسَ على صِغار العِلم قَبلَ كِبارِه .

(**صغار العلم**) : الذي يحتاجون إليه قبل (**كبار العلم**) : قبل المسائل الــمُشكِلة ، والمسائل الكبيرة التي لا يحتاجون إليها .

انتبه –حفظك الله ووفَّقَك الله– استمع بقلبك –وفَّقَك الله – .

يقول ابن القيم –رحمه الله-: **"فإذا استكمل العبد هذه المراتب الأربع صار من الرَّبَّانِيِّين ، فإنَّ السَّلَفَ مــُجمِعُون على أنَّ العالِــم لا يَستَحِقُّ أنْ يُسمَّى رَبَّانِياً حتى يَعرِفَ الحَقَّ، ويَعمَلَ به، ويُعلِّمَه، فمَنْ عَلِم، وعَمِل، وعَلَّمَ"** –انتبه رعاك الله– يقول: **"فَمَنْ عَلِم، وعَمِل، وعَلَّم، فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات"** ، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أنْ يُبَلِّغَني وإيَّاكم هذه المنزلة الرَّفيعة ، أسأل الله أنْ يُبَلِّغَنا أجمعين مَنازل الصِّدِّيقين، ومَنازِلَ الأَئِمَّة، والأولياء الصالحين، إنه جواد كريم .

ثمَّ ذَكَرَ الــمُصَنِّفُ –رحمه الله– الدَّليل ، مِنْ أين جئت يا شيخ الإسلام بهذه المراتب

الأربع؟! ذكر الدَّليل –رحمه الله تعالى– على استنباط هذه المسائل الأربعة فقال:

[المتن]

والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[14]

[الشرح]

وأين الاستنباط من هذه الآيات؟ الاستنباط من قوله –عز وجل–: ﴿إِلّا الّذِيْن آَمَنُوْا﴾: فالذين آمنوا أي : أيقنوا، وصَدَّقوا، وهذا اليقين والتَّصديقُ يكون بالعلم .

﴿ إِلّا الّذِيْن آَمَنُوْا وَعَمِلُوا الْصّالِحَات ﴾: فهذا هو العمل .

﴿ وَتَوَاصَوا بِالْحَق ﴾ : هو الذي يُراد به الدعوة إلى الله –عز وجل– .

﴿وَتَوَاصَوا بِالْصّبْر ﴾ : أي يُوصِي كُلُّ أَحَدٍ صاحِبَه بالصبر، ولا شَكَّ أنَّ الإنسان يُوصِي نَفسَه قَبلَ أنْ يُوصِي غيره بالصبر على العلم، وعلى العمل به، وعلى الدعوة إليه .

[المتن]

قَالَ الشَّافِعِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ – : "لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ".

[14] سورة العصر

[الشرح]

قد يَستَشكِلُ مُستَشكِلٌ أنَّ هذه السورة لا تكفي لبيان شرائع الإسلام . فنقول : ليس مُرادُ الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى– أنَّ هذه السورة قد احتوت على جميع تفاصيل شريعة الإسلام ، ليس هذا مُراده –رحمه الله –، ولكن مُراده –عليه رحمة الله تعالى– أنَّ هذه المسائل الأربعة المذكورة في هذه السورة هي التي يتفرع عليها دين الإسلام وشريعة الإسلام .

فالمعارف الثلاث الأولى هي شاملة لكُلِّ الإسلام في (**معرفة العبد ربه، ونبيَّه، ومعرفة دين الإسلام**)، هذه كلُّها شاملة لشرائع الإسلام، فإذا تَعَلَّمَ الإنسان هذه الثلاث عَمِلَ بها، فَحَقَّقَ هذا الدين في نفسه، فإذا حَقَّقَهُ في نفسه دعا إلى الدين، فَتَحَقَّقَ هذا الدين في غيره، ولأجل أن يتحقَّقَ هذا الدين في نفسه وفي غيره وجب عليه أن يصبر .

ولذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله تعالى– كما في مجموع الفتاوى لما ذكر مقولة الشافعي قال: "ورُوِيَ عن الشافعي –رضي الله عنه– أنَّه قال: لو فَكَّر الناسُ كُلُّهم في سورة والعصر لَكَفَتهُم ، وهو كما قال ، فإنَّ الله –جَلَّ وعلا– أخبر أنَّ جميع الناس خاسرون إلا مَنْ كان في نفسه مُؤمناً صالحاً ، ومع غيره مُوصِياً بالحقِّ ، ومُوصِياً بالصبر".

بقيت هذه العبارة الأخيرة من كلام البخاري لعلنا ننتهي إن شاء الله من هذه العبارة الأخيرة من كلام البخاري ثم نقف إن شاء الله. ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– مقولة البخاري قال:

[المتن]

وَقَالَ البُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ –: "بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ". وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[15]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

[الشرح]

ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– مقولة هذا الإمام الـــمُسَدَّد الـــمُوَفَّق –رحمه الله تعالى– أمير المؤمنين في الحديث قال: "**العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ**": أي أن البخاري –رحمه الله تعالى– جعل بابا في كتابه الصحيح ؛ صحيح البخاري، جعل فيه باباً: (**العلم قبل القول والعمل**) ، سمَّى هذا الباب "**العلم قبل القول والعمل**" ، أو بعبارة أخرى : هذا بابٌ سوف نذكر فيه العلم قبل القول والعمل .

هنا فائدة: العلم إذا أطلق فإنه يُراد به العلوم الشرعية، ولا يُرادُ بذلك علومُ الدُّنيا، إنما يراد العلوم الشرعية لا علوم الدنيا .

قال: (**العلمُ قبل القول والعمل**)، قبل أن يقول الإنسان ، وقبل أن يعمل ، فعليه بالعلم.

قال:" وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾، فاستدلَّ بهذه الآية: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ .

[15] [محمد: ١٩]

وكما سيأتي معنا إن شاء الله أن لا اله إلا الله معناها –معنى لا إله إلا الله– لا معبود بحق إلا الله، وسنأتي إن شاء الله لاحقاً إن شاء الله نتكلم عن تفصيل هذه الكلمة إن شاء الله قال: ﴿فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم ﴿فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فبدأ رب العزة –عز وجل– بالعلم قبل أن يذكر العمل، وهو قد ذكر هنا الاستغفار قال: "فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ".

ولذلك نقول مَقُولَةً جَميلة تُروَى –فيما يحضرني الآن– أنها عن سفيان بن عيينة –عليه رحمة الله تعالى– كان يقول:" **مَنْ فَسَدَ مِنْ علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود ، ومَنْ فَسَدَ من عُبَّادِنا ففيه شَبَهٌ مِنَ النصارى**" .

الله –سبحانه وتعالى– قد امتدح نبيه وقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [16] ، فنفى عنه الضلال، ونفى عنه الغواية، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يَعمَلُ بِعِلم صلى الله عليه وسلم، وكان أكمل الناس عِلماً بالله –عز وجل– .

والسبب في إيراد أثر ابن عيينة في قوله: "**مَنْ فَسَدَ من عُلمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود ، ومَنْ فَسَدَ من عُبَّادِنا ففيه شَبَهٌ مِنَ النصارى**" ؛ ذلك أنَّ اليهود كانوا يعلمون ولا يعملون، وأنَّ النصارى فكانوا يعملون ولا يعلمون .

ولذا أنا أذكر فائدة مهمة لطالب العلم –لكُلِّ مَنْ سَلَكَ طريق العلم– فإنَّ كثيراً مِن طُلَّاب العلم يَقرأُ في كثيرٍ من السُّوَر ؛ كسورة البقرة ، وسورة المائدة ، وبعض السُّوَر الطوال،

[16] [النجم: ٢]

فَيَمُرُّ على آيات فيها ذكر قصص اليهود، فالواجب على طالب العلم أن يَقِفَ وَقَفاتٍ كثيرة، وخصوصاً مع الآيات التي وَرَدَت في ذِكرِ اليهود .

فإنَّ اليهود قد كانوا مِمَّن يعلمون ولا يعملون، وقد ذَمَّهم الله –تبارك وتعالى– على ذلك في مَواطِنَ من كتابه .

فالذي ينبغي على طالب العلم أن يقف مع هذه الآيات التي فيها ذكر اليهود وقفات مع نفسه، وكذا عليه أن يَقِفَ مع الآيات التي فيها ذكر النصارى، وذلك أنَّ النصارى كانوا يعملون ولا يعلمون .

والله –سبحانه وتعالى– قد قال: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [١٧]. فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالُّون هم النصارى .

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

[17] [الفاتحة: ٦، ٧]